

أقسام المعاصي و الذنوب عند الإباضية

من المعلوم أن الذنوب أو المعاصي قسمان : كبائر، وصغائر. فالكبائر جمع كبيرة: وهي كل ما عظم من المعصية مما فيها حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، فالسرقة وشرب الخمر والزنا وقتل النفس التي حرم الله، والكذب وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف وترك الصلاة والامتناع عن دفع الزكاة وترك الحج مع الاستطاعة، وقطع الطريق والظلم، وإيذاء المسلمين وتخويفهم والفساد في الأرض، ونصرة الباطل والحكم بغير ما أنزل الله إلى غير ذلك من الأفعال المحرمة بنص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، كل ذلك من الكبائر، وهي التي يترتب على ارتكابها وعيد في القرآن أو في السنة، سواء شرع لها حد في الدنيا كالزنا والسرقة أو لم يشرع كأكل الربا والميتة ولحم الخنزير».

أما الصغائر فهي ما دون الكبائر وهي الذنوب التي بين العبد وبين الله تعالى، وقد ذكر أبو مسلم الرواحي في نثار الجواهر نقلاً عن قطب الأنمة أمثلة منها: الغمزة والهجرة والنظرة والهمل بالمعصية والكذب على غير الله ورسوله حيث لا ضرر على أحد، والدخول بغير إذن، وأخذ حبة أو حطبة أو غير ذلك من مال الغير، ولبس ثوبه وركوب دابته أو ببقه بدلوه، ويمكن أن يقاس عليها ما تشبهها. وهذه الذنوب هي التي قال الله تعالى فيها (**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَرْ عَنْكُمْ سَبْتًا نَكْمَ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا(31)**) (النساء) وهي التي يغفرها الله للعبد، وتكفرها الصلوات المكتوبة والصدقات والصوم وصلاة الجمعة. أما الكبائر فلا تغفر إلا بتوبة صادقة.

وقد وعد الله تعالى من عمل بطاعته الجنة، ولا خلف لوعده، وأوعده لمن عصاه النار إذا مات غير تائب من معاصيه وأصر عليها، ولا خلف لوعده، ولا مبدل لقوله. قال تعالى: (**مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِي وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(29)**) (ق)، وقال : (**إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ(9)**) (آل عمران) فالوعد حق والوعيد حق، قال تعالى : (**وَيَأْتِي أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالُوا نَعَمْ قَالُوا بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ(44)**) (الأعراف).

فمن مات مؤمناً بالله تائباً، صادقاً في توبته مخلصاً لله في عمله، كان من أهل رضوان الله تعالى، ولا يؤخذ بما جناه قبل التوبة، ومن مات مصراً على شيء من معاصي الله، ولم يتب من المعاصي التي توجب التوبة، كان من أهل سخط الله، ولا ينتفع بما سبق من عمله. مصداقاً لقول الرسول (ص): «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يبقي بينه وبينها إلا ذراعاً فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقي بينه وبينها إلا ذراعاً فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». فالعاقبة بحسن الخاتمة وطالما أن المرء لا يدرى متى تكون نهايته فإن عليه أن يعمل الصالحات طول حياته، وإن أخطأ فعليه أن يستغفر الله ويتوب إليه قبل أن يسبق عليه الكتاب. وعندنا لا تنفعه توبة ولا شفاعاة. فمن يموت بغير توبة فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين.

أمّا الاعتقاد بأن الله يغفر الذنوب جميعاً بدون توبة صادقة فإن هذا يجر إلى اللامبالاة بالمعاصي وتسويق التوبة، كما أنه مخالف لكثير من الآيات القرآنية الكريمة.

أدلة خلود مرتكب الكبيرة في النار:

الإباضية يقولون بخلود أهل الكبائر في النار وهي العقيدة التي نطق بها القرآن ودعمتها كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، وهي واضحة كل الوضوح لمن تدبر في آيات القرآن. وقضية الخلود في النار من القضايا المتعلقة بالعدل الإلهي وبالوعد والوعيد، وما ينتج عنه من ثواب وعقاب. والأدلة على خلود العصاة في النار كثيرة في القرآن والسنة. فمن القرآن الكريم:

• قول الله تعالى في البقرة: (**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(275)**). هذه الآية تتوعد أكلي الربا بالخلود في النار والربا كما هو معلوم من أكبر الكبائر.

· يقول الله تعالى في سورة يونس: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(26) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيُرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مِثْلًا مِثْلًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(27))

· قال الله تعالى بعد آية الوصية في سورة النساء (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ(14)).

· قول الله تعالى في سورة الانفطار: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ(14) يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ(15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ(16)) هذه الآية قسمت الناس يوم القيامة إلى قسمين: أبرار وفجار فالأبرار مصيرهم إلى الجنة وهم فيها خالدون، والفجار مصيرهم النار وهم فيها خالدون.

· قول الله تعالى في سورة الفرقان (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَتَمًا(68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا(69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا(70))

وفي السنة: وردت أحاديث كثيرة في الصحاح تؤكد ما بينه القرآن في حكم العصاة المصيرين الذين يموتون بدون توبة

· روى البخاري ومسلم عن ابن عمر (رض) أن رسول اله (ص) قال: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي. إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

· روى الشيخان عن ابن عمر (رض) أن رسول الله (ص) قال: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار حيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة خلود بلا موت. يا أهل النار خلود بلا موت. فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم».

· روى أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عمر (رض) أن النبي (ص) قال: «لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر». وفي رواية أخرى ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: «مدمن خمر والعاق لوالديه والديوث»، وهو الذي يقر السوء في أهله.

· روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رض) أن رسول الله (ص) قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدا فيها أبداً ومن تحسنى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدا فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالدًا مخلدا فيها أبداً».

والروايات كثيرة تارة تدل على الخلود بالنص عليه، وتارة بالجمع بينهن بين التأييد، وأخرى بالتوعد بالحرمان من الجنة، أو حرمان شم ريحها.

ولا توجد آية في كتاب الله تعالى تقول بخروج العصاة من النار بل إن آيات كثيرة تؤكد معنى التأييد في جهنم للعصاة، وكلها آيات صريحة في دلالاتها قطعية في ثبوتها؛ وأما الأحاديث فقد وردت أحاديث في خلود العصاة في النار كما وردت أحاديث في خروج العصاة من المؤمنين من النار. لكن إذا عرضنا هذه الأحاديث على كتاب الله نجد أنها أولاً: أحاديث أحادية، وثانياً: فإن هذه الأحاديث تعارض الكثير من الآيات القرآنية الصريحة، وغيرها من الأحاديث الصحيحة التي ذكرنا بعضها منها. وقضايا العقيدة لا تؤخذ إلا من القرآن الكريم، ومما تواتر من أحاديث النبي (ص)، أما الأحاديث الأحادية فلا يحتج بها في أمور العقيدة على رأي جمهور العلماء.

لمزيد من التفصيل في الموضوع راجع الموقع http://istiqaama.net/aqida/Kofr_alniama.htm

مطويات الاستقامة - إعداد قسم البحث العلمي لموقع الاستقامة

<http://matwiyat.istiqaama.net>

matwiyat@istiqaama.net

الدال على الخير كفاعله - لا تجعل هذه المطوية تتوقف عنك. إقرأ ، أنسخ ، وزع

ساهم في إعداد أو توزيع المطويات - لمزيد من المعلومات - يرجى زيارة [موقعنا](http://www.istiqaama.net)